

أسلوب التكرار في القصة القرآنية

إعداد

د . إحتراس شاكر فندي الكبيسي

كلية الامام الاعظم / قسم الانبار



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث الامين وعلى اله وصحبه الغر الميامين
وبعد :-

فالقرآن الكريم كتاب الله العظيم قد قص فيه قصصا للأنبياء والمرسلين وما جرى بينهم وبين
أقوامهم، وما حدث من وقائع وأحداث في زمانهم، قصها علينا بأساليب متنوعة يتحقق بها إعجاز
القرآن الكريم، ذلك أن أسلوب القصص القرآني ذا خصائص يمتاز بها عن سائر الأساليب فله
في المعنى واللفظ ألوان من التوجيه، وفنون من الإيحاء والتعليم، كما أنه له - كما للقرآن الكريم
كله - من الجودة التي لا تبلى، وتلك الروعة التي لا تزول .

وإن المتأمل والمتدبر في آيات القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى كرر ذكر كثير من
الأنبياء في أكثر من سورة، وأكثر من موضع .

ولما كان التكرار في القصص القرآني ظاهرة واضحة ملفتة للنظر وداعية لكثير من التساؤلات
فقد وجد أصحاب الأهواء ومرضي القلوب مدخلا ملتويا يدخلون منه على الطعن في القرآن
والنيل من بلاغته وإعجازه، فرأوا أن التكرار عجز بياني وقصور فني، وأنه أدخل الاضطراب
على أسلوبه وجعله ثقيلا على اللسان والسمع ويبعث على الملل والسآمة .

ولهذا رأيت أن أقدم هذا البحث لأبين حقيقة التكرار في القصص القرآني وأسراره وفوائده والرد
على الطاعنين والشبه التي أثرت حوله مع دراسة أنموذجية على قصة موسى عليه السلام لأنها
أكثر قصص القرآن الكريم تكرارًا، ولأظهر جوانب البلاغة والإعجاز في تكرار القصص القرآني .
وقد قسمت بحثي على ما يأتي:-

المبحث الأول: مفهوم التكرار في القرآن الكريم.

المطلب الأول: التكرار لغة.

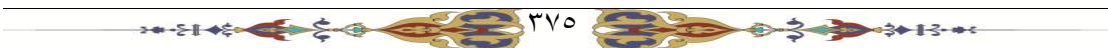
المطلب الثاني: التكرار في القرآن.

المطلب الثالث فوائد التكرار.

المطلب الرابع : أقوال العلماء في مسألة التكرار في القرآن.

المبحث الثاني التكرار في القصة القرآنية .

المطلب الأول: تكرار القصة.





المطلب الثاني :أراء العلماء في قضية تكرار القصص القرآني.

المطلب الثالث : أسرار وخصائص التكرار في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: قصة موسي عليه السلام نموذجاً.

وخاتمة نظم أهم النتائج والمصادر .

المبحث الأول: مفهوم التكرار في القرآن الكريم

تمهيد:

أن أسرار التكرار باب من أبواب العربية ، ودرب من دروب بلاغتها ، ومسلك من مسالك فصاحتها وقد وقع في القرآن الكريم من الآيات المتشابهات التي تكررت فيه وألفاظها متفقة ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بي الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان وأبين ما السبب في تكرارها والفائدة في إعادتها وما الموجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها وتمتاز بها عن أشكالها وكل ذلك يعود الى كونه معجز، يقول الإمام السيوطي في إتقانه : "والتكرار في اللغة العربية فن قولي من الأساليب المعروفة عند العرب ، بل هو من محاسن الفصاحة ^(١) فالقائل بأن كل تكرار في لغة العرب مذموم فهو قاذح في الفصاحة ، وهو إما واهم أو جاهل بلغة العرب ، وهو إلى العجمة أقرب.

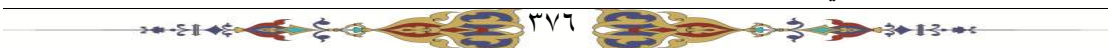
المطلب الأول : التكرار لغة :

أصله من الكرّ: الرُّجُوعُ. يُقَالُ: كَرَّهْ وَكَرَّرْ بِنَفْسِهِ وَيَأْتِي بِمَعْنَى الإِعَادَةِ وَالْعُطْفِ ، فَـ "وَكَّرَرَ الشَّيْءَ وَكَرَّرَهُ: أَعَادَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى" ويقال كررت عليه الحديث وكررته إذا رددته عليه، والكرُّ الرجوع . ^(٢) وفي الاصطلاح: تكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرة في سياق واحد لنكتة ما كالتوكيد أو الانتباه أو التهويل أو التعظيم ^(٣) قال الإمام الزركشي : "وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى" ^(١) إذن

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ٣/ ١٧٩ . رسائل الجاحظ ١/ ٢١٠

(٢) ينظر :لسان العرب لابن منظور مادة كرر ١٣٥/٥ وما بعدها.

(٣) ينظر : أسرار التكرار في لغة القرآن د شيخون ص ١١ وما بعدها.





التكرار معناه الرجوع إلى الشيء مره أخرى ، أو الإتيان به مرة بعد مرة. قال السيوطي - رحمه الله - : "التكرير وهو أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط" (٢)

المطلب الثاني : التكرار في القرآن :

لقد فاق القرآن الكريم ما لدى العرب من كلام راق فصيح، فبهر العقول وهم فطاحل الشعر؛ لأن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى وكلامه، وهناك فارق بين كلام الخالق وكلام المخلوق تماماً كالفارق بين الخالق والمخلوق وليس هناك بينهما وجهاً للمقارنة .

من أجل هذا فقد أودع الله تعالى فيه الأسرار العظيمة الظاهرة والباطنة ، كما أن القرآن الكريم قد استخدم أفضل وأجمل الأساليب البليغة ، التي أخذت العقول ، وأسرت الألباب ، وجذبت إليها الأنظار والأفهام .

ومن الأساليب اللغوية والأدبية : أسلوب التكرار ، وهو مع هذا لا يسبب الملل ولا السآمة عند الإنسان الذي سرعان ما يملّ ، والقرآن الكريم يحكي لنا كيف أن اليهود ملّت تكرار الطعام مع كونه شهياً : { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ } (٣)

- يختلف استخدام القرآن الكريم للتكرار عن استخدام غيره له، ويكمن هذا في جودة التوظيف للتكرار، وعدم الاستغناء عنه حيث جاء .
- فالتكرار في القرآن الكريم يؤدي وظيفة بلاغية، ومهمة تربوية لا تؤدي بدونه، ولو فتننا وبحثنا عن بديل للتكرار لأعيانا البحث وأجهدنا ولن نجد هذا البديل.
- إن التكرار في القرآن الكريم أمرٌ واقعٌ لا شك فيه ، وهو حق لا ريب فيه، سواء أظهرت لنا الحكمة من ورائه أم لم تظهر .
- التكرار في القرآن الكريم -كما سبق - يباين التكرار في كلام البشر، فالتكرار في كلام البشر لا يسلم عادة من القلق والاضطراب، وإذا لم يجيده المتكلم به صار عيباً في الأسلوب، يقول الامام الزركشي "وَقَدْ غَلِطَ مَنْ أَنْكَرَ كَوْنَهُ مِنْ أَسَالِيْبِ الْفَصَاحَةِ ظَنًّا أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ لَهُ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ

(١) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ١٠/٣ .

(٢) الإتيان في علوم القرآن: السيوطي ٣ / ٢٨٠ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١ .



من محاسنها لاسيما إذا تَعَلَّقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَذَلِكَ أَنَّ عَادَةَ الْعَرَبِ فِي خِطَابَاتِهَا إِذْ أَبْهَمَتْ بِشَيْءٍ إِرَادَةً لِتَحْقِيقِهِ وَقُرْبَ وَفُوعِهِ أَوْ قَصَدَتْ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ كَرَّرَتْهُ تَوْكِيدًا وَكَأَنَّهُا تُقِيمُ تَكَرُّرَهُ مَقَامَ الْمُفَسِّمِ عَلَيْهِ أَوْ الْاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِ حَيْثُ تَقْصِدُ الدُّعَاءَ وَإِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِمْ وَكَانَتْ مُخَاطَبَاتُهُ جَارِيَةً فِيمَا بَيْنَ بَعْضِهِمْ وَبَعْضٍ وَبِهَذَا الْمَسْلُوكِ تَسْتَحْكِمُ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ فِي عَجْزِهِمْ عَنِ الْمُعَارَضَةِ وَعَلَى ذَلِكَ يَحْتَمِلُ مَا وَرَدَ مِنْ تَكَرُّرِ الْمَوَاعِظِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ مِنَ الطَّبَائِعِ الْمُخْتَلَفَةِ وَكُلُّهَا دَاعِيَةٌ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَلَا يَقْمَعُ ذَلِكَ إِلَّا تَكَرُّرُ الْمَوَاعِظِ وَالْقَوَارِعِ" (١) قال تعالى: {ولقد يسرنا القرآن للذكر} (٢).

- ان التكرار في القرآن الكريم تكرار محكم ، ذو وظيفة يؤديها في النص القرآني ، وإنما يقف على ذلك من تفحص وأنعم النظر في طبيعة النص القرآني وخصائصه.
- ولو خلا القرآن من أسلوب التكرار وهو أسلوب معروف لدى العرب ، لوجدنا من يعترض على القرآن والسنة تجاهلهما لهذا الأسلوب البلاغي المعروف .
- المطلب الثالث فوائد التكرار :

للتكرار في القرآن الكريم فوائد كثيرة أبرزها :

١. التحدي والإعجاز وذلك بالتصرف في البلاغة على أعلى مرتبة؛ لأن كل قصة كررت حصل في ألفاظها زيادة ونقصان، وتقديم وتأخير وإجمال وبيان، في مواضع مختلفة وأتت بأسلوب غير الأسلوب الآخر .

ولو سلك القرآن الكريم طريقاً واحداً في إيراد القصص لقال الكفار نحن نقدر على غير هذا النوع فقطع الله عليهم كل سبيل للاعتراض وذكر في القرآن أنواعا مختلفة وترك لهم حرية اختيار ما يشاؤون منها، لكنهم عجزوا فدل عجزهم على صدق القرآن وأنه وحي منزل من الله. (٣)

٢. يأتي التكرار لهدف تثبيت معنى يقصده القرآن الكريم وذلك لأهميته ، ولخطورة القضية التي جاء بها فالقرآن لا يكررها في مواضع مختلفة ومواطن متفرقة في سور متعددة فحسب ، بل يزيد الأمر اهتماماً بتثبيت هذا المعنى، فيكرر القضية المراد تثبيتها في نفس المقام في آيتين متتاليتين،

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن : للزركشي ٩/٣.

(٢) سورة القمر الايات: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٣) ينظر قصص القرآن د/ عبد الباسط بلبول ص ٣٢٤.



كما جاء في سورة النساء حيث أراد القرآن تثبيت وتأكيد قضية مهمة جدا ،وهي قضية ملكية الله لجميع ما في السماوات وما في الأرض فكررها في آيتين متتاليتين قال تعالى :{ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ تَكْفُرًا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } (١) فالملحظ هنا أن قضية ملكية الله للسماوات والأرض وما فيهن - وهي قضية من الأهمية بمكان - كررها القرآن ثلاث مرات في سورة واحدة في مقام واحد في آيتين متتاليتين، وقد قيل إن الكلام إذا تكرر تقرر ويقول الله تعالى :{ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } (٢) (٣).

٣. جذب النفوس إلى سماع القصة بالمغايرة بين أساليب القصة الواحدة (٤) وبذلك تظهر خاصية القرآن الكريم لم تكن في غيره من الكلام، وهي أنه بتكرار المعنى الواحد منه بأساليب مختلفة، لا يزداد عند السامع إلا قبولا ولا يعتري قائله ملل ولا سآمة، بخلاف غيره إذا كرر مهما تنوعت أساليبه سئمته الأسماع وملته الأفواه.

وهذا من إعجاز القرآن الكريم وتأثيره في النفس الإنسانية، وذلك أن النفوس تميل إلي التنوع في الأساليب من تقديم وتأخير وزيادة ونقصان وتتعدد بذلك الصور التي تستلذها النفس ويميل إليها القلب فلا يحدث الملل من أسلوب واحد . وفي هذا التنوع تجديد للكلام وتطريته.

٤- تمكين العظة والعبرة وإيقاظ الهمم. إذ بالتكرار ينتبه غير المنتبه ويزداد إدراكا وتعمقا من أدرك (٥) ، وذلك لأن بعض القلوب لا تنتبه إلا إذا كرر عليها الخبر أكثر من مرة، والعقول والضمائر تتفاوت من سرعة التنبيه والاستفادة، فإن الله تبارك وتعالى يكرر القصة حتى يستفيد في المرة الثانية والثالثة من لم يمكنه الاستفادة في المرة الأولى ، وفي ذلك تعميق للعظة والعبرة (٦)

(١) سورة النساء ، الآيتين: ١٣٢، ١٣١.

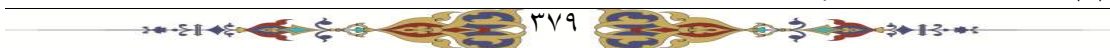
(٢) سورة طه، الآية : ١١٣ .

(٣) ينظر: الإتقان: للسيوطي ٢٨١/٣.

(٤) ينظر: اللآلئ لحسان في علوم القرآن ص ٢٩٧ د/ موسى شاهين .

(٥) المصدر السابق ص ٢٩٧ .

(٦) ينظر: قصص القرآن د/ عبد الباسط بلبول، ص ٣٢٨.





٥- في تكرار القصة تسلية للنبي ﷺ وتثبيت لقلبه، وقلوب أصحابه رضوان الله عليهم، وذلك ليري الرسول ﷺ والمؤمنون ما لاقى الأنبياء وأتباعهم من أذى أقوامهم، وثباتهم على الحق، ومصابرتهم ومجاهدتهم في سبيل الله حتى كانت العقابة لهم والدائرة على أعدائهم، فيصبروا على أذى المشركين كما صبر غيرهم من الرسل. فتكرار القصة في عدة سور بأساليب مختلفة إنما يهدف إلي تمكين هذه السنن في النفس وتثبيتها في القلب حتي تقوي داعية الإصلاح عند المصلح، فلا يجد اليأس سبيلا إليه . وقد كان من تربية الله لنبيه ﷺ أن قص عليه من سير الأنبياء ما يسليه؛ لأن نفوس المفسدين في كل زمان متقاربة ووسائلهم في محاربة الحق متشابهة ^(١) قال تعالى {مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ} ^(٢)

٦- شدة عناية الحق تبارك وتعالى بشأن القصة أو الجانب المكرر إما لدلالاتها على التوحيد كقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومعاداته للأصنام وأهلها. وإما لدلالاتها على نصره الله تعالى لأنبيائه على أعدائه كقصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وإما لغير ذلك كما يعلم من تتبع قصص القرآن الكريم .

٧- إن القصة قد تطول وهي ذات جوانب كثيرة، فالله سبحانه وتعالى يذكر جانباً منها في موضع يناسبه، ويذكر جانباً آخر أو جوانب أخرى في موضع آخر يناسبه لتتم الصورة الكلية للقصة ويتبين معالم الهدف المقصود منها^(٣)

٨- من مقاصد تكرار القصة في القرآن كذلك تزهيب الجاحدين وإنذارهم بما جرت عليه سنن الله بعقاب المكذبين لرسله، ولا أدل على صدق السنن الإلهية من حدوثها مرارا وفي ظروف مماثلة وأزمان متباعدة ^(٤) اقرأ في هذا ما جاء في سورة العنكبوت في معرض ذكر عدد من الأنبياء يقول تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ) وقال تعالى: (وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْبُوا فِي

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن ص ١٣٠ .

(٢) سورة فصلت آية ٤٣ .

(٣) ينظر: قصص القرآن د: بلبول، ص ٣٣٤.

(٤) ينظر: سيكولوجية القصة د. التهامي ص ١٣١ .



الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ، وَعَادُوا وَتَثَمَدُوا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ، وَقَارُورًا وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ، فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْظِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^(١).

٩- ومن أسرار تكرار القصة في القرآن الكريم كذلك ضمن مجموعة من القصص بيان وحدة الأديان في أصل العقيدة ووحدة الدعوة إليها من الرسل وتشابه أقوامهم في موقفهم منها قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)^(٢) وبقتضي تقرير هذه الحقيقة أن تعرض طائفة من قصص الأنبياء متتابعة تروي كل ذلك^(٣)

والجدير بالذكر أننا نلاحظ في عرض قصص الأنبياء التزام القرآن لصيغة واحدة فيما حكاها من دعوة هؤلاء الرسل إلى الله فقد قال كل رسول لقومه "اعبدوا الله ما لكم من اله غيره" وقد كان له أن يتصرف في حكاية كلامهم بصيغ متنوعة تؤدي نفس المعنى لأنهم كانوا يتكلمون بغير لغة القرآن. ولكنه قصد هنا التكرار في اللفظ والمعنى معا للإشعار بأن كلامهم إنما صدر عن واحد وهو الله واتجه إلى غاية واحدة وهي التوحيد^(٤)

هذا ومما تجدر الإشارة إليه كذلك إن القرآن الكريم قد يحكي تارة عن قوم معينين بأنهم كذبوا الرسل مع أنهم لم يرسل إليهم إلا رسولا واحداً ليوحي التعبير بأن تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيب الرسل كلهم . لأنهم كلهم يقولون ذات الشيء بلا تغيير فمن كذب واحدا منهم فقد كذبهم جميعا . وتارة يقول عن أقوام متعددين أنهم عصوا رسول ربهم فيوضح ذلك أن كل أمة كذبت رسولها، ويوحي في ذات الوقت أنه كأنما هو رسول واحد الذي بعث إلى هذه الأقوام

(١) سورة العنكبوت آيات ٣٥-٤٠ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

(٣) ينظر: سيكولوجية القصة د: التهامي، ص ١٣٢ .

(٤) المصدر السابق ص ١٣٣ .



جميعاً . لأنهم - على اختلاف أقوامهم وأزمانهم وأماكنهم ولغاتهم - قد قالوا ذات الكلمة، وعرضوا ذات القضية، ومن هنا فالرسل جميعاً كأنهم رسول واحد يتكرر لكل قوم من الأقوام^(١)

١٠- تأكيد الجانب الغيبي وتنبيته في القلوب بحيث يصير جزءاً من حياة السامع أو القارئ. فالحديث عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر تجده في خلال قصص القرآن جميعاً، ويندر أن تخلو قصة من قصص القرآن الكريم عن ذكر جانب أو جوانب من هذه الأمور الخمسة^(٢)

١١- إثبات نبوة محمد ﷺ وإلزام المعاندين الحجة الراسخة ، يقول الإمام اللغوي ابن فارس : " إن الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن وعَجَزَ القوم عن الإتيان بمثله آيةً لصحة نبوة محمد ﷺ ، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلاماً أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عبر " ، فهذا أولى ما قيل في هذا الباب^(٣)

المطلب الرابع : أقوال العلماء في مسألة التكرار في القرآن :

اختلف العلماء في تكرار القرآن الكريم على عدة أقوال:-

١. ذهب قوم يقولون بالتكرار في القرآن، وهؤلاء يرون أن في هذا التكرار سحر بيان، وتنشيت بنيان، فعدوه بلاغة وإعجازاً، ووجدوا فيه منهجاً قوياً ، وهدفاً عظيماً من مناهج التربية وأهدافها ، وراحوا يبرهنون عليه ببراهين من كلام العرب شعراً ونثراً .
- قال الإمام القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى : { قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون }^(٤) (وأما وجه التكرار فقد قيل إنه للتأكيد في قطع أطماعهم ، قال أكثر أهل المعاني: نزل القرآن بلسان العرب ، ومن مذهبهم التكرار إرادة التأكيد والإفهام، كما أن من مذهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز ، لان خروج الخطيب والمتكلم من شيء إلى شيء أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد ، كل هذا على سبيل التأكيد)^(٥)
٢. ذهب الفريق الثاني الى وجود التكرار، لكن لا يحق لنا اطلاق لفظ التكرار فيطلقون عليه ،لفظ آخر وهو التنوع وبالتكامل وغيرها ، وكان دافعهم تنزيه القرآن عما اعتقدوه نقصاً في الكلام ،

(١) ينظر: دراسات قرآنية : محمد قطب ، ص ١٠٢ .

(٢) قصص القرآن : عبد الباسط بلبول، ص ٣٣٥ .

(٣) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ١/ ٥٢ .

(٤) سورة الكافرون ، الآيات : ٢ وما بعدها .

(٥) ينظر: تفسير القرطبي ١٠ / ٣٨٧



وهذا وإن كان عذرا مقبولا إلا أنه كان رد فعل لما تقوله المستشرقون على كتاب الله ، فرأوا أن ينزهوا القرآن عن هذا اللفظ.

ونقول لهم : لا ينبغي أن يكون كلام العلماء رد فعل لشبه تثار حول القرآن ، ولكن عليهم أن يوطنوا أنفسهم على الحق ولو كره المجرمون • لماذا نعتذر عن القرآن الكريم لوجود التكرار فيه ، والتكرار أسلوب بلاغي ، وقد أجاد القرآن الكريم في توظيفه وعرضه ، وعظمة القرآن لن يضرها قول المتقولين عليه ، ولن يرفعها قول من ساندته ، وذلك لأنها عظمة مستمدة من عظمة منزله وهو الله تعالى •

٣. ذهب جماعة من العلماء رفضوا أن يعترفوا بالتكرار في القرآن الكريم ، وهم يختلفون عن أصحاب القسم الثالث في أنهم لم يسموه بغير اسمه ، ولكن اجتهدوا في تخريج كل ما جاء في القرآن الكريم مما يوهم التكرار ، ولقد أبدع الإمام الزمخشري في هذا المجال متأثرا بالقاضي عبد الجبار ، وشيخه أبي علي الجبائي ، حيث يقول في قوله تعالى من سورة الشعراء { وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } حيث تكررت هذه الفاصلة ثمان مرات : "فإن قلت : كيف كرّر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرّر؟ قلت : كل قصة منها كنتزّل برأسه ، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها ، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبها ، وأن تختتم بما اختتمت به " (١)

وفي قوله تعالى : { قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } (٢) يقول الزمخشري : (فإن قلت : لم كرّر ذكر شهادتهم على أنفسهم؟ قلت : الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون ؟ والثانية : ذمّ لهم ، وتخطئة لرأيهم ، ووصف لقلّة نظرهم لأنفسهم ، وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة ، وكان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر). (٣)

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ١٤٢ / ٣

(٢) سورة الأنعام ١٣٠

(٣) تفسير الزمخشري، ١٧٤ / ٢



٤. ذهب جماعة ^(١) تسلل الحقد إلى قلوبهم حتى تمكن منها فعميت تلك القلوب ، وطُمت تلك الأفئدة ، وباتوا يقدحون في التكرار خاصة في القرآن الكريم ، وهو عندهم نقصا وطعنا في كتاب الله تعالى .

ولكن مما يجدر الإشارة إليه هنا أن هذه الفئة الحاقدة التي أعمى الحنق والغل بصيرتها ، لم يكن لها وجود في عصر نزول القرآن الكريم ، ولا العصر الذي تلاه ، مع أن الأعداء عندئذ كانوا للقرآن بالمرصاد ، ولم يدعوا شيئا يعاب به القرآن - في زعمهم - إلا سجلوه وتناقلوه ، ولو قالوه لتواتر النقل عنهم ولكن لم يحدث ، لأن أعداء القرآن في هذه الفترة كانوا أعلم الناس بقوة القرآن وبلاغته حتى أنهم شهدوا به ، وهذا هو الوليد بن المغيرة زعيم المشركين سجل عليه التاريخ كلمات صارت شهادة للقرآن من أعدائه ، والحق ما شهدت به الأعداء ، حيث قال : " إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته " ^(٢) هذا كله بعد أن نزهه عن السحر وشعر الكهان .

فالملاحظ أن هذه الفئة ، وهذه الشبهة التي رُمي بها القرآن الكريم زورا وحسدا لم تظهر مبكرا ولكنها ظهرت بعد فترة من الزمن ، ريثما فسد الذوق البلاغي والبياني ، وضعفت السليقة العربية ، والعجيب المجمع عليه أن هؤلاء الناشطين لهذه الشبهة لم يصلوا بحال من الأحوال إلى درجة فصاحة ولا بلاغة الذين سكتوا عنها قديما .

وفي هذا أبلغ رد عليهم ، وبيان أن دافعهم هو الحنق والحقد على دين الله تعالى وعلى المسلمين: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ^(٣)

ومن هؤلاء الذين فسد ذوقهم اللغوي لافتنانهم بالعجمة والدراسات المادية البحتة د. محمد أحمد خلف الله في رسالته الجامعية بكلية الآداب وعنوانها " الفن القصصي في القرآن " وهي رسالة عرض فيها لعدة آراء في القصص القرآني منها : عدم تحريره الصدق في أخباره ومنها نقد التكرار ، ونحن نقف معه فقط في قضية التكرار حيث قال فيها : " سؤال سألته العقل الإسلامي

(١) هذا القول ينفي العلم عن صاحبه ، وذكرناه في زمرة أقوال العلماء تجوزا على استحياء .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ١ / ٤٩٩ ، وينظر : دلائل النبوة للبيهقي ٧٥/٢ برقم ٥٠٥

(٣) سورة البقرة الآية ١٠٥



نفسه فيما يخص هذا التكرار ، وهو أنه على فرض قدرته على الوقوف على الأسرار التي من أجلها كان التكرار فلماذا هذا الاختلاف ؟ لماذا اختلف إيراد القصة الواحدة في موطن عنه في آخر ؟ لماذا اختلف وصف القرآن لموقف موسى من ربه في سورة طه عنه في غيره من السور ، مع أن هذا الموقف واحد ، والحادثة واحدة ؟ ^(١)

وبقليل تدبر نلاحظ خبث وشناعة هذه الأسئلة والتي تشير بأصابع الاتهام إلي القرآن الكريم وتقذح فيما عده العلماء وجها لإعجاز القرآن ، والملاحظ أيضا أن "خلف الله" قد أُشرب حب المدرسة الأُمينية^(٢) ، وتأثر بها أيما تأثر ، وانجرف مع تيار الدراسة الفنية للأدب العربي ، فسولت له نفسه أن يطبق -دون تدبر - تلك الدراسة بجميع حيثياتها على القصص القرآني ، وأن يعرض القرآن عرضا فنيا محضاً .

وما أظن إلا أن هذا بقية إرث الاستشراق ، روج له أذنانهم ، خاصة بعد فساد الذوق العربي ، واختفاء التمرس بالأساليب العربية في الكلام .

وغاب عن فكر خلف الله أن قواعد البشر في القصص والأدب ، لا يمكن تحكيمها في القصص القرآني ، خاصة وأن القرآن أضاف لقضية التكرار الكثير والكثير .

وأنا أتساءل هنا : كيف ساغ "لخلف الله" أن ينقول على القرآن بما لم يتقول به أرباب البلاغة وفرسان الفصاحة ممن كانوا متربصين به الدوائر، إن هذا لهو الضلال المبين، وهذه من آثار العجمة التي افتتن بها البعض تحت مسميات أغرتهم بدينهم وتراثهم ، حتى طعنوا في القرآن ونالوا من بلاغته وإعجازه .

المبحث الثاني التكرار في القصة القرآنية

المطلب الأول :تكرار القصة .

إذا أُطلق مصطلح " التكرار في القرآن " فإنها تتصرف أول ما تتصرف إلى التكرار في القصص القرآني قبل غيره ، ولذا كان هذا النوع هو الأكثر استغلالا من قبل المستشرقين وأذنانهم الطاعنين في كتاب الله ، ومعلوم أن القصة القرآنية قد شغلت مساحة كبيرة من كتاب الله مقارنة

(١) الفن القصصي في القرآن رسالة جامعية بمكتبة كلية الآداب بالقاهرة ص ٣٢ .

(٢) أي التي أرسى قواعدها الأستاذ أمين الخولي وآخرون .



بغيرها من الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم ، ولا عجب في ذلك ، فإن القصة في القرآن لم تأت لتقرر هدفا واحدا ، بل جاءت لأهداف متعددة وغايات كثيرة ..

ويمكن أن نسجل للقصص القرآني عدة أهداف ومنها :

١_ تعميق العقيدة في النفوس، وتبصير العقول بها ، وإحياء القلوب عن طريقها ، سالكة في هذا الصدد أحسن الطرق إمتاعا للعاطفة وإقناعا للعقل ، وفي سبيل هذا الهدف تناولت القصة في القرآن الكريم وجوه العقيدة الثلاث : "الإلهيات ، النبوات ، والسمعيات" مستخدمة في ذلك كله أسطع البراهين وأدمغ الحجج .

٢_ للقصص القرآني عناية فائقة بهلاك الأمم السابقة والتركيز على أسباب هذه الهلكة مفصلا إياها تفصيلا دقيقا ، حتى ينير الطريق أمام الأجيال القادمة حتى تتلاشى مثل هذه الأسباب لئلا يصيبهم ما أصاب من قبلهم.

٣_ عنى القصص القرآني بإقامة التدين الحق الذي لا ينفصل عن الحياة العملية بل يرتبط بها ارتباطا مطردا ، ولذا فصل القول في بيان أسباب السعادة الروحية وكذا السعادة المادية،حتى تكتمل سعادة المؤمنين من جميع الجهات فلم يبخل على متدبريه بالنصح والإرشاد وبيان نقاط الاعتبار من خلال قصصه .

وبعد هذا العرض الموجز ، نقول عندئذ: نشهد أن القصص القرآني ليس كغيره من القصص البشري ، فهو نسيج رب العالمين ، ومعجزة سيد المرسلين ، وقديما قالوا : " كلام الملوك ، ملوك الكلام " فما بالنا بكلام ملك الملوك .

ولذا ستبقى القصة القرآنية هي الجذوة المضيئة للإنسان فتربط ماضيه بحاضره وتهيئ له مستقبله ، وستبقى هي النفحة الربانية التي تشرق بها النفس ويعمر بها القلب ، وستبقى هي الوثيقة الوحيدة الصادقة الخالدة التي يطمئن إليها الإنسان لمصادقيتها ، وتلك بعض الحقائق عن القصة القرآنية .

المطلب الثاني :آراء العلماء في قضية تكرار القصص القرآني :

نتحدث في هذا المطلب عن بعض آراء العلماء الذين لهم الباع في تكرار القصص القرآني، وباتوا على تنقيحها وأنتجوا فكراً متجدداً ، يوضح لنا رؤية جديدة في التعامل مع نصوص القرآن الكريم .



ومن هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم جنوداً لكتاب الله يذبون عنه ويدفعون ، ويجلونه ويقدمونه للناس تقديمًا علميًا جديرًا بالاهتمام والمدارسة إمام من أئمة أهل السنة وهو اللغوي ابن قتيبة^(١) حيث يقول رحمه الله : (وأما تكرار الأنباء والقصص فإن الله تعالى أنزل القرآن نجومًا في ثلاث وعشرين سنة بفرض بعد فرض ، تيسرًا منه على العباد ، وتدرجًا لهم إلى إكمال دينه ووعظ بعد وعظ ، تنبيهًا لهم من سنة الغفلة ، قال تعالى " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)^(٢)

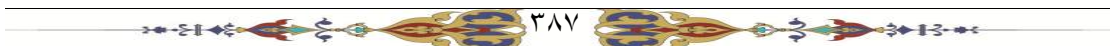
ثم يستطرد ابن قتيبة في بيان حكمة تكرار القصص في القرآن الكريم فيقول : " وكانت وفود العرب ترد على رسول الله ﷺ فيقرئهم المسلمون شيئًا من القرآن فيكون ذلك كافيًا لهم ، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة ، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناه ومتكررة ، لوقعت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى قوم ، وقصة نوح إلى قوم ، وقصة لوط إلى قوم ، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع ، ويثبتها في كل قلب ، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير ، وقد أخبر الله عز وجل عن السبب الذي من أجله كرر القصص في القرآن الكريم فقال : " وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " ^٣ وقال تعالى : { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا }^(٤) ثم يطالعنا الإمام الزركشي برأي قريب من هذا ، فبعد أن أوضح أن التكرار أسلوب من أساليب العرب ، وأن الكلام حينما يكرر ، فإنه في النفوس يقرر ، وعاب على الذين ينكرونه ، يتطرق بعدها إلى مواضع التكرار في القصص القرآني وعلى أي وجه يحمل ، ويطبق كلامه على قصة موسى عليه السلام مع فرعون كمثال لتكرار القصة في القرآن فيقول : " وإن ظن أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد في ألفاظها زيادة أو نقصان وتقديم أو تأخير ، وتلك حال المعاني

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. عالم وفقه وأديب وناقد ولغوي، موسوعي المعرفة، ويعد من أعلام القرن الثالث للهجرة. ولد بالكوفة، ٢١٣هـ ثم انتقل إلى بغداد، حيث استقر علماء البصرة والكوفة، فأخذ عنهم الحديث والتفسير والفقه واللغة والنحو والكلام والأدب والتاريخ توفي ٢٧٦هـ. ينظر: الاعلام للزركلي ١٣٧/٤.

(٢) سورة الفرقان الآية: ٣٢

(٣) سورة القصص الآية: ٥١

(٤) ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٣٢-٢٣٤





الواقعة بحسب تلك الألفاظ ، فإن كل واحدة لابد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه ، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها ، فكأن الله فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء ثم قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لتوجد متكررة فيها ، ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة ، من انفراد كل قصة بموضع ، كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام .^(١)

فالزركشي ينفي أن يكون هناك تكرار مذموم في القصص القرآني ، ولكن التكرار المحمود موجود ولا ريب ، وقد فرق فيه القرآن أحداث القصة على أجزاء ومواطن ، يحصل في كل موطن غاية تختلف عن غيرها ، وتعالج في كل موضع ما لا تعالجه في موضع آخر .

والأمر لا يختلف كثيرا عند علمائنا المعاصرين أو المحدثين ، فإذا انتقلنا من الحديث عن القدامى أمثال ابن قتيبة والزركشي ، ونظرنا للقضية ذاتها عند المحدثين من العلماء نجد أن الفكر واحد ، بيد أن الأسلوب قد يختلف في عرض القضية مع اتفاق الجميع على تنزيه القرآن الكريم عن التكرار المذموم وأن القصة وإن تشابهت الألفاظ إلا أنها تقدم طرحا جديدا في كل موضع ، ولناخذ بعض النماذج من علماء العصر الحديث والذين لم يألوا جهدا في عرض هذه القضية .

يقول الشيخ عطية صقر - رحمه الله - عند معالجته لقضية التكرار في القصص القرآني خاصة : " قصص القرآن هو أحسن القصص صدقا وبلاغة قال تعالى : { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ }^(٢) وتتضح حكمة هذا القصص من قوله تعالى : { وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنبِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ }^(٣) ، وإذا كان هناك تكرار في القرآن للقصة فلا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا -

١ _ إن القرآن الكريم لم ينزل مرة واحدة حتى يعاب التكرار ، ولكنه نزل مفرقا على مدى ثلاث وعشرين سنة ، تنزل الجملة منه حسب الظروف الطارئة ، والقصة الواحدة قد تصلح لكل الظروف ، متسقة معها ، مراعاة لمقتضى الحال وذلك هو سر البلاغة التي نزل بها القرآن في أعلى درجاتها .

(١) البرهان في علوم القرآن : للزركشي ، ٢٧/٣

(٢) سورة الكهف : ١٣

(٣) سورة هود : ١٢٠



٢_ إن النظرة العابرة إلى القصة التي نزلت عدة مرات قد يفهم منها أنها متشابهة متماثلة تماما ، لكن النظرة الدقيقة ترينا أن القصة في موضع يُركز فيها على جانب معين ، وتكون الجوانب الأخرى تابعة ومكملة ، لأن المقام يقتضى إبراز هذا الجانب ، فبينما تراها في موضع يركز فيها على جانب معين ، كان في غيرها من التوابع المكملة ، وذلك لاقضاء المقام له أيضا ، ولذلك قد يهمل في بعضها لفظ أو يترك تعيين اسم يوجد له داع للذكر أو التعيين في مقام آخر ، ومن هنا كانت متغايرة وليست متشابهة ^(١).

فالشيخ يقرر وجود التكرار في القرآن الكريم لكن يدرك أن له علة وحكمة لا يمكن أن يستغنى عنه بغيره ، فالتكرار ليس عيبا ولا ذما في القرآن الكريم بل هو شاهد صدق على إعجاز القرآن الكريم ، وجمال أسلوبه .

أما الشيخ مناع القطان صاحب المباحث المشهورة في علوم القرآن فيتحدث عن القصة وتكرارها وحكمة هذا التكرار فيقول : " يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذى تكرر في غير موضع ، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن الكريم وتعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير ، والإيجاز والإطناب ، وما شابه ذلك ، ومن حكمة هذا :

١_ بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها ، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتميز عن الآخر ، وتصاغ في قالب غير القالب الآخر ، ولا يمل الإنسان من تكرارها ، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى .

٢- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبّرها في النفس ، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام .

٣_ اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة ، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات، حسب اختلاف مقتضيات الأحوال " ^(٢).
وأعلام التفسير في العصر الحديث لم يكونوا بمنأى عن دراسة مثل هذه الظاهرة في القرآن الكريم وتسجيل ملاحظاتهم عليها .

١ - ينظر مقدمة كتاب القول الفصل د عباس حسن تقديم الشيخ عطية صقر ص ٧

٢- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٢٨١



يقول الطاهر ابن عاشور في تفسيره: (القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها . من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها)^(١)

إن فكل موطن يعالج جانباً فقط من الجوانب، وهذا يحتاج إلى إمعان نظر وحسن استقراء لباقي المواطن رابطاً كل هذه بما قبله وما بعده من الآيات القرآنية

ويستمر ابن عاشور في طرحه لهذه القضية مفنداً احتمالات الخصم فيقول : " وعلى فرض أن هناك تكرار في إيراد القصة ، أليس الأسلوب في كل موطن يختلف عن الموطن الآخر وأسلوبه ؟ ثم أليس هذا إعجازاً وبلاغة في أرقى صورها في القرآن ، وصدق الله الذي يقول : { وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ } ^(٢)

ثم يتساءل ابن عاشور : "لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود منها ، وما فائدة تكرار القصة في سور كثيرة ؟

ويجيب عن هذا التساؤل فيقول : "إن القرآن هو بالخطب والمواعظ أشبه منه بالتأليف، وفوائد القصص تجتلبها المناسبات، وتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه فلا يعد ذكرها مع غرضها تكريراً لها لأن سبق ذكرها إنما كان في مناسبات أخرى ، وهذا مقام تظهر فيه براعة الخطباء ، مع ما فيه من مقاصد أخرى منها :

أولاً : رسوخها في الأذهان بتكريرها .

ثانياً : أن يسمع اللاحقون من المؤمنين في وقت نزول القرآن ذكر القصة التي كانت فاتتهم مماثلتها قبل إسلامهم أو في مدة غيبيهم فإن تلقي القرآن عند نزوله أوقع في النفوس من طلبه ومن حافظه وهكذا أبدع ابن عاشور في توضيح وجهة النظر فيما يظن أنه تكرار في القرآن وليس كذلك ^(٣)

١ - التحرير والتنوير : للطاهر بن عاشور ١ / ٣٦

٢ - سورة النمل الآية: ٦

٣ - الموضوع بتمامه في التحرير والتنوير لابن عاشور ١ / ٣٧، ٣٨



كذلك مما يؤكد ذلك الأستاذ سيد قطب في ضلاله أن يشير إلى موضع تكرار القصة في القرآن الكريم ولو في إشارات سريعة دون استطراد أو إطناب فيقول : (يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات ، وهذه المناسبات التي يساق لها القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة والحلقة التي تعرض منها ، والصورة التي تأتي عليها والطريقة التي تؤدي بها ، تنسيقا للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه وبذلك تؤدي دورها الموضوعي وتحقق غايتها النفسية وتلقى إيقاعها المطلوب ، ويحسب أناس أن هناك تكرارا في القصص القرآني ، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة ، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة ، من ناحية القدر الذي يساق ، وطريقة الأداء في السياق وأنه حينما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار)^(١).

أما الشيخ محمد متولي الشعراوي -رحمه الله- تعالى فقد ذكر لهذه الظاهرة في خواطره وأدلى فيها بدلوه ، حيث يقول فضيلته : (لكل قصة في القرآن عبرة ، أو شيء مهم يريد الحق أن يلفتنا إليه فتارة تكون لتثبيت قلب النبي والمؤمنين " وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " ^(٢) فالقصة في القرآن ليست لقتل الوقت ، ولكن الهدف الأسمى لها هو تثبيت ونفع الحركة الإيمانية) ، ثم يقول الشيخ في موضع آخر في تكرار القصة في القرآن الكريم فيقول : (والقصص في القرآن لا ترد مكررة ، وقد يأتي بعض منها في آيات وبعض منها في آيات أخرى ، ولكن اللقطة مختلفة تعطينا في كل موضع معلومة جديدة ، بحيث إنك إذا جمعت كل الآيات التي ذكرت في القرآن الكريم تجد أمامك قصة كاملة متكاملة كل آية تضيف شيئا جديدا) ثم يطبق الشيخ هذا الكلام النظري تطبيقا عمليا على قصة من قصص القرآن الكريم تكررت كثيرا في القرآن وهي قصة موسى عليه السلام مع فرعون فيقول : (وأكبر القصص في القرآن الكريم ، قصة موسى عليه السلام ويزكرنا القرآن بها دائما لأن أحداثها تعالج قصة أسوأ البشر في التاريخ ، وفي كل مناسبة يذكركنا الله بلقطة من حياة هؤلاء واقرا قول الله تعالى : {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَاهُ فِي النِّمِّ وَلَا

١ - في ضلال القرآن الكريم لسيد قطب ٢٧/١

٢ - سورة هود الآية: ١٢٠



تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }^(١) ، وفي آية أخرى يقول تعالى : {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} ^(٢) والفهم السطحي يظن هذا تكراراً، ونقول: لا فقله تعالى " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم " هذه اللفظة تدل على أن الله تعالى يعد أم موسى إعداداً إيمانياً للحدث، ولكن عند وقوع الحدث تتغير القصة على نمط سريع ، (أن اقذفيه في التابوت ... كلام يناسب لحظة وقوع الحدث) .^(٣)

وكان للأستاذ الشيخ سعيد النورسي ولع بقضية التكرار في القرآن الكريم فأبدع في عرضها بأسلوبه الأدبي المتميز . فيقول عن القرآن الكريم : (اعلم أن القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم المتين ولأساساته، وأساسات لهذا العالم الإسلامي ، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحولها ومبدلها ، ولا بد للمؤسسين من التكرير للتثبيت ، ومن الترديد للتأكيد ومن التكرار للتقرير والتأييد)، ويؤكد هذا المعنى فيقول : " اعلم أن القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب إلى الإيمان بها وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها ، فلا بد لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صور مختلفة وأساليب متنوعة " ^(٤) ثم يعرض الشيخ لقضية التكرار في القصص القرآني بشكل خاص فيقول : " اعلم أن لكل قصة وجوهاً وأحكاماً وفوائد ومقاصد ، فتذكر في موضع لوجه ، وفي آخر لأخرى وفي سورة لمقصد وفي أخرى لآخر ، فعلى هذا لا تكرر إلا في الصورة " فالشيخ يقرر أن التكرار فقط في الصورة ، ويزيد الأمر وضوحاً فيقول: (ومن المكررات القرآنية " قصص الأنبياء " عليهم السلام، فالحكمة في تكرار قصة موسى عليه السلام -مثلاً- التي لها من الحكم والفوائد ما لعصاة موسى وكذا الحكمة في تكرار قصص الأنبياء إنما هي لإثبات الرسالة الأحمديّة وذلك بإظهار نبوة الأنبياء جميعهم حجة لأحقية

١- سورة القصص الآية: ٧

٢- سورة طه الآيتين: ٣٨ ، ٣٩

٣- خواطر الشيخ الشعراوي ط أخبار اليوم ٢٣٨/١

٤- المعجزات الأحمديّة لبديع الزمان الشيخ سعيد النورسي ص ١٨٨



الرسالة الأحمديّة وصدقها ، حيث لا يمكن أن ينكرها إلا من ينكر نبوتهم جميعا ، فذكرها إذن دليل على الرسالة ^(١).

وهكذا يأخذنا النورسي بجميل تعبيراته الأدبية ويقرر حقيقة تضافرت حولها آراء العلماء وهي أن التكرار في القرآن يختلف عنه في كلام من سواه فهو في القرآن خال من الاضطراب والقلق والتضارب ، سليم من الركاقة بل هو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وهكذا القرآن كما عبر عنه الشيخ كلما شاب الزمان شب وكلما تكرر حلا، فبين الشيخ أن طبيعة موضوع القرآن الكريم وغايته ومقاصده التي يسعى إلى ترسيخها في القلوب ، وتثبيتها في النفوس تستوجب إعادة ذكرها وتكرارها مرات ومرات ، فمثلا قصة موسى عليه السلام أخذها القرآن الكريم فضاغها ذهابا فخرت سحرة البيان ساجدين لبلاغته .

هذا ومما يؤكد أن تكرار القصص في القرآن ليس عبثا أو مصادفة ، أن هناك أنواعا من القصص في القرآن لم تتكرر وكأنها تتحدى العرب والفصحاء أن يصنعوا فيها ما صنع القرآن في المكرر ، وحيث جاء التكرار كان معجزا ، وكذا حيث لم يأت أيضا فهو معجز .

ومن القصص الذي لم يتكرر في القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام ، ولقد تكلم العلماء حول علة عدم تكراره كثيرا ومما قيل في ذلك :

- السورة فيها من تشبيب النساء بيوسف ، وفنتتهن به فناسب ذلك عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك .
 - السورة اختصت بالفرج بعد الشدة بخلاف غيرها من قصص القرآن فإن مآلها إلى الوبال ، كقصة إبليس مثلا ، فخرجت بذلك عن سمت بقية القصص القرآني .
 - في عدم تكرارها إشارة إلى عجز العرب وكأن النبي ﷺ يقول لهم : إذا كان القرآن من تلقاء نفسى ، فافعلوا في قصة يوسف كما فعل القرآن بسائر القصص ^(٢).
- ومن القصص الذي لم يتكرر في القرآن الكريم قصة لقمان الحكيم مع ولده ، وقصة أصحاب الكهف وغيرها مما لا يخلو من حكمة في عدم تكرارها .
- ويبقى لهذه الدراسة بعد أن عدت أنواع التكرار في القرآن الكريم من أدوات وكلمات وقصص وغيره

١- المعجزات الأحمديّة ١٩٦

٢ - ينظر: من علوم القرآن وتحليل نصوصه د / عبد القادر حسين ص ١٢٢ ط دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع / الدوحة .



المطلب الثالث : أسرار وخصائص التكرار في القرآن الكريم .

أسرار التكرار في القرآن:

قد يتساءل إنسان عن سر التكرار في القرآن الكريم وكيف أن القرآن على كثرة ما فيه من تكرار إلا أن سامعه لا يمل ، كما يصاب غيره ممن يطالع الأساليب البشرية في كتاباتهم ، ولابد أن وراء هذا الأمر تكمن أسرار ، وحتى نرد على هذا التساؤل ، ونزيل الحيرة التي قد تلحق بأمثال هذا السائل نقول :إن دراسة أي نص لا يمكن تجريده من عناصره الأساسية بل لابد من دراسته في ظل عناصره ومكوناته ، والنص القرآني له عناصر ومكونات ، ونرى أن كل عنصر حقيق بهذا التكرار ، يحتاج إليه ويمسك بتلابيبه ، مستدعيا إياه في أبهى صوره ،وأزهى حُلله ، وهذه العناصر هي كالاتي :

العنصر الأول : المتكلم :

إن القرآن الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كلام الله تعالى ، ولا يخفى أن مراد الله تعالى من القرآن الكريم هو تربية الناس على الطريق المستقيم، وتقويم اعوجاجهم، وهذه الغاية تطلب التكرار للتقرير والتوكيد .

والممارس لعملية التربية على أي مستوى يدرك أن التربية ليست مجرد إلقاء كلمات على عوانها ، دون تكرارها أو الرجوع إليها ثانية ، فبان لنا أن العنصر الأول من عناصر النص القرآني يتطلب التكرار ، ويحتاج إليه .

العنصر الثاني : المخاطب :

إن المتتبع للقصص القرآني يجد أكثر المخاطبين بالقرآن خاصة وقت نزوله من المعاندين الجاحدين المنكرين ، سواء للبعث أو لقضايا أخرى .

والعناد والمكابرة - لا شك - تحتاج إلى تكرار في الدعوة والنصيحة والمجادلة وغير ذلك ، ولذا نجد أن القرآن قد اهتم بموضوع البعث وقدرة الله عليه ، فأورده في مواطن متعددة بأساليب متنوعة ،ردا على المنكرين المعاندين إذ هي من أكثر القضايا التي عارضها الملحدون .

قال تعالى : { وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ }^(١)



وقال ايضاً: {وَقَالُوا أَنَذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَنِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} (١)

وقال ايضاً {أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} (٢)

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} (٣)

إذن فالعنصر الثاني أيضا يحتاج إلى التكرار ولا يستهجنه بل حاجته للتكرار حاجة ماسة لا يمكن إغفالها .

العنصر الثالث : النص القرآني ذاته :

وتختلف مهمة النص كعنصر من العناصر عن العنصرين السابقين ، فهو لا يستدعي التكرار ولكن يجيد توظيفه .

فلما كانت الحاجة للتكرار ضرورية من خلال ما ذكرناه في العنصرين السابقين وتقررت هذه الحاجة ، هنا جاء دور النص القرآني الذي يحوطها رونقا وجمالا ، حتى خرجت للقارئ في أسمى وأرقى درجاتها ، فصارت وجها من وجوه إعجاز القرآن، فأجاد توظيفها على كل حالة إثباتا وترسيخا وبيانا .

إثباتا : للمنكرين والمعاندين، وترسيخا : للمؤمنين الموحدين ، فيزيدهم إيمانا مع إيمانهم ، وبيانا : للناظرين في القرآن الدارسين لنصوصه عن قرب .

وهذا العنصر وثيق صلة بالعنصر الأول إذ هو المصدر له وإذا كان المصدر هو الله فلا بد أن يكون للنص قوته الباهرة .

المبحث الثالث

قصة موسى عليه السلام نموذجا

إن قصة موسى عليه السلام هي أكثر قصص القرآن الكريم تكرارا، قال الزركشي: قال بعض العلماء ذكر الله موسى عليه السلام في القرآن في مائة وعشرين موضعا (٤)

١ - سورة السجدة الآية: ١٠

٢ - سورة ق الآية: ١٥

٣ - سورة سبأ الآية: ٧

(٤) البرهان للزركشي ج ٣ ص ٣٧ .



ونستطيع أن نأخذ منها فكرة كاملة عن قيمة التكرار الفنية، فقد وردت في مواضع كثيرة ما بين إشارات قصيرة أو طويلة أو في معرض قصص مشترك . وقبل أن أتكلم عن التكرار في قصة موسى عليه السلام أحاول الإجابة على سؤال طرحته من قبل وهو ما السر في تكرار قصة موسى عليه السلام أكثر من غيره من الأنبياء الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم؟. يذهب الدكتور خلف الله في تعليقه لتكرار قصة موسى عليه السلام أكثر من غيرها في القرآن الكريم على "أن اليهود كانوا يسيطرون على البيئة العربية، من حيث التفكير الديني، وهذه السيطرة جعلتهم يقصون كثيرا من أخبار موسى وفرعون . ومن هنا كانت شخصية موسى أكثر دورانا في القرآن من شخصية أيوب مثلا بل أكثر من أي شخصية أخرى"^(١)

وهذا القول مردود ومرفوض وذلك لأنه: من المعروف عن حياة العرب الدينية قبل الإسلام أنهم كانوا من حيث العقيدة طوائف وفرقا شتى، فبعض اليمينيين عبدوا الشمس، وعبدت كنانة القمر، وعبد قوم من لحم وخزاعة نجم الشعري، وآخرون تحنفوا، وطائفة أنكروا الأديان كلها، وقوم من اليمينيين تهودوا، وقوم من قضاة تنصروا وأكثر الأديان انتشارا بين العرب كانت الوثنية^(٢). فأنت ترى أن البيئة العربية كانت لا تسودها عاطفة دينية واحدة بل كانوا طوائف شتى كل قبيلة تعبد ما تراه وما تهواه كما أو الوثنية كانت هي السائدة المنتشرة بينهم، فكيف يمكن بعد ذلك أن نتصور سيطرة اليهود من الوجهة الدينية علي بيئة لا تسودها العاطفة الدينية كما أنها كانت قليلة الانتشار بالنسبة لما كان سائدا بين العرب من ملل ونحل.

يضاف إلى ذلك أن أكثر ما ورد من قصة موسى عليه السلام وفرعون نزل بمكة، ومن المعلوم أن أكثر القبائل اليهودية كانت تقيم في يثرب بين قبيلتي الأوس والخزرج. وكانت العلاقة بينهما لا تخلو من عدااء. ومثل هذه العلاقة تجعل النفوس غير متهيئة للتأثر بما عند اليهود.

وقد كان من أبرز خصائص القرآن المكي حملته المتلاحقة على الشرك والوثنية وتوعد المعاندين والمكابرين بالعذاب الأليم وتقنيد معتقداتهم الفاسدة وتسفيه أحلامهم وأصنامهم التي يعبدونها من دون الله . كل ذلك يدل على مدى انتشار الشرك والوثنية في البيئة العربية. ولذا فقد كانت آيات القرآن المكي تدخل عليهم من كل باب وتضرب لهم أبلغ الأمثال وتهدهم وتتوعدهم قال

(١) الفن القصصي ص ٢٣٤ .

(٢) سيكولوجية القصة ص ١٢٧ .



تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ، لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ).^(١) ويقول تعالى: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا، وَبَنِينَ شُهُودًا، وَمَهَدْتُ لَهُ تَمْهيدًا، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا، سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا، إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ، فَقُنْطَلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُنْطَلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ، سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ)^(٢). كما قال تعالى في ذم معبوداتهم: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُونَ)^(٣)

وإذا كان الرسول ﷺ قد تأثر بقصص أهل الكتاب كما يزعم فكيف ينكر عليهم قولهم: عزيز ابن الله؟ ثم كيف ينكر على النصارى قولهم: المسيح ابن الله؟ قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِوُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَتَى يَوْمُكُمُ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)^(٤)

ثم كيف لا يقبل من اليهود والنصارى قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه؟

وكيف يرد عليهم هذا الادعاء بقوله: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلِ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ.....)^(٥).

لقد كشف القرآن الكريم عن دسائسهم وتلبيساتهم وفضح سوء معتقداتهم . قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)^(٦) (لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ،

(١) سورة الأنبياء آية ٩٨ - ١٠٠ .

(٢) سورة المدثر آية ١١-٢٨ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٩٤-١٩٥ .

(٤) سورة التوبة آية ٣٠-٣١ .

(٥) سورة المائدة آية ١٨ .

(٦) سورة المائدة آية ٦٤ .



كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ^(١).

هذا بعض صنيع القرآن الكريم في مواقف الحق مع اليهود ... إنه يرمي في وجوههم بكل فاضحة مخزية، فكيف يلقاهم بالباطل في مجال الأخبار والأحداث التي نظم منها قصصه، الذي جعله عظمة وعبرة علي الدهر^(٢)

إن تكرار قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم أكثر من غيرها ترجع - والله أعلم - إلى هذا التشابه الكبير بين موسى عليه السلام والرسول ﷺ في ظروف الدعوة، فقوم موسى عليه السلام قد أذلهم طول الاستعباد وأفسد طباعهم فأعرضوا عن الحق، ولأقوى منهم نبيهم ما لاقى رسول الله ﷺ من سادة قريش وزعمائها، وكلاهما أوتي شريعة دينية ودنيوية وعمل علي تكوين أمة عظيمة، لكن الدعوة المحمدية تمتاز بأنها إنسانية شاملة، تمتاز بعمومها وشمولها للناس كافة إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وكلاهما كانت مهمته شاقة في دك عروش الظلم وحصون الاستبداد ومقاومة الطغيان والإلحاد والخرافة، وتحرير الرقاب والقلوب من استبعاد الإنسان للإنسان واستبعاد الهوى للنفس . فبنو اسرائيل أذلهم الحكم الطاغي فأصبحوا لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً، والعرب أخذ سلطان القبيلة بنواصيدهم واستحوذت العصبية القبلية على نفوسهم فخضع الضعفاء للأقوياء ودان العبيد للسادة.^(٣)

كما نجد التشابه في التآمر الذي وقع علي كل منهما فقوم موسى تأمروا عليه ليقتلوه كما تأمر المشركون على رسول الله ﷺ ليقتلوه . قال تعالى في شأن موسى عليه السلام : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)^(٤)

وفي شأن تأمر المشركين على رسول الله ﷺ يقول تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)^(٥) كما أن المؤمنين بهما عذبوا

(١) سورة المائدة آية ٧٨ .

(٢) ينظر القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه عبد الكريم الخطيب ص ٢٩٨ .

(٣) ينظر سيكولوجية القصة ص ١٢٣ وما بعدها ، تفسير سورة الأعراف ص ٩٨ د/ محمد البهي .

(٤) سورة القصص آية ٢٠ ، ٢١ .

(٥) سورة الأنفال آية ٣٠ .



واضطهدوا فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، ولم يحفلوا بما كانوا يلقون من أذى وما يتحملون من صعاب . فقد كان المشركون يقومون بتعذيب أصحاب النبي ﷺ بشتى الطرق ومختلف الأساليب، ومن ذلك استمرت الدعوة الإسلامية تغزو معازل الشرك وتزلزل عروش المشركين .

روي الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود قال: أول من أظهر إسلامه من بين الذين يخفونه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار بن ياسر وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد . فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس ^(١)

وما أشبه هذا بقصة السحرة التي تكرر ذكرها في قصة موسى عليه السلام فإن فرعون حشر السحرة من كل مكان ليتغلبوا علي موسى ويبطلوا سحره حسب زعمهم ولكن الحق ملك قلوبهم والإيمان ملأ مشاعرهم فاستخفوا بتهديد فرعون أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم في جذوع النخل (قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ، إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) ^(٢) . وهنا تتجلي قوة الإيمان إذا سكن القلب واطمأنت به النفس، وتتجلي الحقيقة بالاستعداد للفداء في سبيلها، ويظهر طغيان فرعون الذي يستعظم أن يكون في بني إسرائيل من يذعن للحق قبل أن يأذن له بذلك ^(٣)

يقول الأستاذ سيد قطب في كتابه "في ظلال القرآن": "كانت قصة موسى مع فرعون وبني إسرائيل قصة حافلة بالعظات والعبر التي لا يستغني عنها الرسول ﷺ في اقتحام العقبات والتعود علي الصبر والتأسي بمن سبقه من الرسل، والصمود أمام القوى الغاشمة ليجعل من الإسلام طلائع النور في أمة طال عليها الليل كما طال الأمد على بني إسرائيل فقسمت قلوبهم، وكان يهود المدينة أشد على الدعوة الإسلامية في المكر والغدر واللجاجة من مشركي مكة، فهم الذين حرضوا المشركين علي الرسول صلى الله عليه وسلم وتآمروا معهم واحتضنوا المنافقين في

(١) مسند الإمام أحمد ج ٨ ص ١٧٥ حديث ٣٦٤٠ . هَذَا إِسْنَادٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ يَنْظُرُ: مصباح الزجاجة في زوائد

ابن ماجه ، أبو العباس شهاب الدين أحمد، ٢٣/١ رقم ١٠ .

(٢) سورة الشعراء آية ٥٠ ، ٥١ .

(٣) ينظر سيكولوجية القصة ص ١٢٥ .



المدينة، وهم الذين تولوا حرب الإشاعات والدس في صفوف المسلمين وتشكيكهم في عقيدتهم، فلم يكن بد من كشفهم للجماعة المسلمة لتعرف من هم أعداؤها؟ وما طبيعتهم؟ وما تاريخهم؟ وما وسائلهم؟ ولقد علم الله أنهم سيكونون أعداء هذه الأمة كما كانوا أعداء هدى الله في ماضيهم الطويل (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (١).

وأشد القلوب استعصاء علي الهدى والاستقامة قلوب عرفت ثم انحرفت، فاقتضى ذلك أن تلم الأمة المسلمة وارثة الرسالات كلها بتاريخ القوم وأخلاقهم وطباعهم وانحرافاتهم حتي تعرف مزلق الطريق، فتضم هذه التجربة في حقل العقيدة والحياة إلي حصيلة تجاربها وتنفع بها (٢). هذا ما نفهمه من السر في ذكر قصة موسى أكثر من غيرها من قصص الأنبياء عليهم السلام . وفيما يلي سأذكر نماذج لمشاهد من قصة موسى عليه السلام ذكرت في أكثر من سورة حتي تتضح لنا الصورة كاملة ويظهر لنا أنه لا تكرار في القصص القرآني وذلك أن كل مشهد أو حلقة كررت جاءت بشيء جديد في تكرارها .

الصورة الاولى

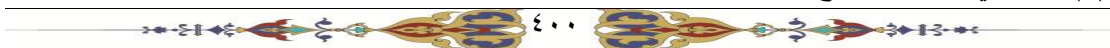
تشتمل الصورة الاولى من قصة موسى عليه السلام على عدة عناصر وهي :

- ☒ ظروف المجتمع الذي ولد فيه موسى عليه السلام .
- ☒ وحي الله لأم موسى عليه السلام بإلقائه في اليم .
- ☒ التقاط آل فرعون له واتخاذه ولدا لهم .
- ☒ رجوعه إلي أمه وإرضاعها له .

وقد ذكر هذا المشهد في موضعين من القرآن، الكريم في سورتي القصص وطه فقد جاء في سورة القصص : (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُم الْوَارِثِينَ، وَنُفَصِّلَ فِي الْأَرْضِ الْفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ، وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا

(١) سورة البقرة آية ٥٧ .

(٢) ينظر في ظلال القرآن ج ٦ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .





تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، فَالْنَقْطَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ، وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَئَيْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ، فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).

وجاء هذا المشهد في سورة طه هكذا : (وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى، إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى، أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَنِّي وَلِيُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي، إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى).

فهذا المشهد ذكر كما ترى في موضعين وصور بصورتين كل منهما يكمل الآخر، وكلاهما يعطينا لونا من الألوان ويلقي على المشهد ضوء من الأضواء . وكل منهما مناسب لما وضع فيه ونزل من أجله . فلا تكرار ولكن بيان وتوضيح فما نقص هنا كمل هناك، وما أجمل هنا بين هناك . ففي سورة القصص صورة إجمالية لحياة موسى عليه السلام كيف ولد وكيف نشأ ؟ مع البسط وبيان النهاية، وفي سورة طه كانت القصة حديثا خاصا لموسى عليه السلام أبان الله فيه بعض ما أنعم به عليه، فهي في مقام الامتنان والتذكير بالنعمة التي من الله بها عليه .

ففي سورة القصص تفصيل وبيان وإعداد للخطوة في هدوء وروية واستقرار في إلقاء الأحداث وتلقيها في المستقبل ثم استرخاء واتزان في تقبل الأحداث والتصرف فيها، وفي سورة طه كان الإجمال وتنفيذ الخطوة بسرعة الأحداث ففيها أوامر بسرعة قذفه في التابوت الذي لم يأت له ذكر في سورة القصص فيتبعه قذف في اليم، فيتبعه أمر بإلقاء اليم له بالساحل فأمر لفرعون بأخذه



ليكون عدوا له^(١) وبهذا تري أنه لا تكرار بين السورتين فكل سورة تعطينا لونا وترسم لنا طرفا، ثم إذا تلوناها معا استقرت في أذهاننا الصورة الكاملة التامة لهذا المشهد .

الصور الثانية

تتمثل هذه الصورة في عودة موسى عليه السلام من أرض مدين إلى مصر ورؤيته نارا، وأمره لأهله بالكموت حتي يتبين حقيقة هذه النار . وقد جاء هذا في ثلاث سور وهي : طه والنمل والقصص .

قال تعالى في سورة طه : (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى)^(٢)

وفي سورة النمل يقول تعالى : (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)^(٣)

وفي سورة القصص جاء قوله تعالى : (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)^(٤) والصور الثلاث التي صور بها هذا الحدث لموقف واحد وإن اختلفت الألفاظ في التعبير عنه، كما أن الكلام الذي حكى قد وقع بدون زيادة أو نقصان واشتمل على نفس المعاني التي قيلت في هذا الموقف . فهذه الآيات الثلاث في صورها المختلفة اشتملت علي رؤية النار وعلى أمره لأهله بالكموت حتي يأتيهم بقطعة منها يستدفئون بها أو يجد خبرا هناك يهتدون به. ويلاحظ في هذه الآيات الثلاث ما يأتي :-

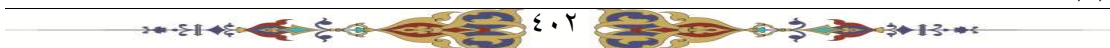
- ☒ زيادة "امكثوا" في طه والقصص دون النمل .
- ☒ قوله "لعلي" في طه والقصص . وقوله "سآتيكم" في النمل .
- ☒ قوله "بقبس" في طه و "شهاب قبس" في النمل و "جذوة من النار" في القصص .
- ☒ قوله "أو أجد على النار هدى" و "خبر" في كل من النمل والقصص .

(١) راجع القصص القرآني ص ٢٣٦ وما بعدها عبد الكريم الخطيب ، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ص ١٣١ د / محمد محمود حجازي .

(٢) سورة طه آية ٩ ، ١٠ .

(٣) سورة النمل آية ٧ .

(٤) سورة القصص آية ٢٩ .





أما الزيادة في مكان دون آخر كزيادة "أمكثوا" في طه والقصص دون النمل فهذا لا اعتراض عليه من حيث الإجمال في سورة والتفصيل في أخرى . أو الاكتفاء بما ذكر في إحدى السورتين وحذفه في الثالثة .

وأما قوله " لعلی " في طه والقصص التي تفيد الرجاء و " سأتيكم " التي تفيد اليقين في النمل . فالجواب على ذلك : انه قد وعدهم بالإتيان بقطعة من النار أو خبر يهتدون به على سبيل الظن فعبّر عنهما بصيغة الترجي، وفي سورة النمل لم يأت بذلك ولم يجرد الفعل عن السين لتأكيد الوعد بالإتيان فإنها كما قال الزمخشري: تدخل في الوعد لتأكيديه وبيان أنه كائن لا محالة وأن تأخر ^(١) وعلي هذا فلا تعارض بين ما وقع في طه والقصص وما وقع في النمل .

أما قوله "بقبس" و"شهاب قبس" و"جذوة من النار" باختلاف العبارات في ذلك من سورة لأخري في السور الثلاث فيجاب عن ذلك بأن الجذوة خشبة في رأسها قبس له شهاب^(٢). فهي في السور الثلاث عبارة عن معني واحد . وهنا يمكن القول بأن اللفظة التي نطق بها موسى عليه السلام يمكن أن تقع لهذه الكلمات الثلاث .

وأما قوله "أو أجد علي النار هدي" في طه و"خبر" في كل من النمل والقصص . فلا فرق بين التعبيرين . إذ الخبر الذي يتأتى بهم به هو أن يجد على النار ما يهديه ويخبره أن الطريق هو ما عليه أو غيره، ووجوده الهدى وأن يخبر بخبر اهتدائه في طريقة شيء واحد لا اختلاف عليه^(٣) وبهذا تري أن هذه الآيات مصورة لموقف واحد حصل لموسي عليه السلام وكل هذه المقولات من كلامه، وليس فيها زيادة أو نقصان، وهو عليه السلام وإن لم يكن نطق بهذه الألفاظ العربية إلا أن القرآن الكريم قد نقل ما قاله بأمانة وصدق ومطابقة للواقع فهي ترجمة معني بالعربية عن العبرية، وصدق الله إذ يقول "إن هذا لهو القصص الحق"^(٤).

(١) ينظر الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ١٣٧ ، تفسير الألوسي ج ٢٠ ص ٧٣ .

(٢) ينظر مختار الصحاح ص ٩٨ .

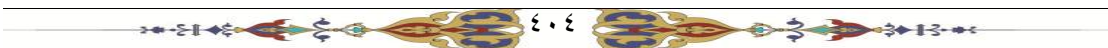
(٣) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ص ٢٣٢ .

(٤) سورة آل عمران: آية ٦٢ .



أهم نتائج البحث

1. بيان أهمية تكرار تلك القصة، لأن تكرارها يدل على العناية بها وتوكيدها؛ لتثبت في قلوب الناس
2. مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها، ولهذا نجد الإيجاز والشدة غالباً فيما أتى من القصص في السور المكية، والعكس فيما أتى في السور المدنية.
3. ظهور الإعجاز الدال على صدق القرآن الكريم، وأنه من عند الله تعالى، حيث تأتي هذه القصص على رغم تكرارها على أتم وجه، وأفضل تناسب، دون تناقض في المضمون، أو تعارض في سرد الحدث القصصي.
4. من القصص القرآني لم يذكر إلا مرة واحدة، مثل قصة لقمان، وقصة أصحاب الكهف؛ ومنه ما يأتي متكرراً حسب ما تدعو إليه الحاجة، وتقتضي المصلحة، ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد، بل يختلف في الطول والقصر، واللين والشدة، وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر.
5. ان ذكر القصة في أكثر من موضع فهو من باب التنوع لا التكرار.
6. من إعجاز القرآن الكريم تأثيره في النفس الإنسانية، وذلك أن النفوس تميل إلى التنوع في الأساليب من تقديم وتأخير وزيادة ونقصان وتتعدد بذلك الصور التي تستلذها النفس ويميل إليها القلب فلا يحدث الملل من أسلوب واحد . وفي هذا التنوع تجديد للكلام وتطريته.
7. إن القصة في القرآن لم تأت لتقرر هدفاً واحداً ، بل جاءت لأهداف متعددة وغايات كثيرة
8. إن القصة القرآنية لم تلتزم طريقاً واحداً من حيث الطول والقصر ، والإجمال والتفصيل ، ولكل نوع من هذه الأنواع أمثلته الواضحة في كتاب الله .
9. إن القصة القرآنية بكل أنواعها التي سبق الإشارة إليها جاءت وافية بالغرض التي سبقت من أجله، فليس قصر القصة بالشيء الذي يشعر القارئ بنقص فيها ، بل ربما يذكر في القصة القصيرة المجمل ما لم يذكر في غيرها .
10. باستقراء تكرار القصص في القرآن الكريم تبين أنه لا توجد قصة واحدة ذكرت في موضعين أو أكثر بطريقة واحدة ، بل نجد كل قصة فيها ما لم يأت في الأخرى ، ففي كل قصة من





- المشاهد والجزئيات والأحداث ما تفردت به في هذا الموطن عن غيره من المواطن ، ولا شك أن هناك قضايا مشتركة مقتضاها السياق ولكن هذه القضايا لم تأت على أسلوب واحد^(١)
١١. ان القصة القرآنية التي لم تذكر الا مرة واحدة لا بد من علة أو حكمة لم تذكر ولماذا لم تكرر في القرآن الكريم.
١٢. ويمكننا أن نخلص من كل ما سبق عرضه أن التكرار في القرآن الكريم له خصائصه التي تميزه عن غيره لما ذكر من العناصر الثلاثة.
١٣. التكرار في القرآن لا يُمل ، ولا يُسئم ، ولكن كلما قرأته أو طالعته لم يزدك إلا جمالا .
١٤. التكرار في القرآن كله معجز ، فهو يبرز وجهها من وجوه إعجاز القرآن الكريم والتي تحدى بها أرباب البلاغة ، وفرسان الفصاحة .
١٥. التكرار إنما يكون في الصورة وحسب ، وإلا فهو تجدد مستمر ، والفطرة السليمة تشهد بهذا ، إلا من مَرَضَ قلبه ، أو فَسَدَ ذَوْقه ، فيدخل تحت المقولة المشهورة . قد ينكر المرء ضوء الشمس من رمد *** وينكر الفم طعم الماء من سقم ، أو يحق فيه قول القائل : (ما ينفع الأعمى ضوء الشمس ولا يبصرها).

(١) راجع قضايا التكرار في القصص القرآني د القسبي محمود زلط ط دار الأنصار مصر/ ط ١ ١٩٨٧ م ، القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته د فضل حسن عباس ٢٢- ٢٧ ط دار الفرقان الأردن ط ١ ١٩٨٧ م

